

## أنا وأنت على الطريق

### تجارب الطفولة المؤلمة تزيد فرص الوفاة

**سيدتي المستمعة، هل تعلمين أن كل ما يجري مع الإنسان في الطفولة يؤثر عليه في الكبر؟** هذا بالضبط ما جاء به الخبر التالي إذ يقول تحت عنوان: تجارب الطفولة المؤلمة تزيد فرص الوفاة قبل سن الخمسين ما يلي: أظهرت دراسة فرنسية حديثة أن الأشخاص الذين يعانون من تجارب مؤلمة في مرحلة الطفولة يكونون عرضة لخطر الوفاة المبكر. وقال القائمون على الدراسة من المعهد الوطني الفرنسي لصحة والبحوث الطبية ، إن الرجال والنساء الذي تعرضوا لتجارب مؤلمة خلال الطفولة تزيد لديهم فرص الوفاة قبل سن الخمسين مقارنة بمن عاشوا طفولة عادية، وإن فرص الوفاة المبكرة في هذه الحالة تصل إلى ثمانين بالمئة.

كما قارن الباحثون وفقا لصحيفة الديلي ميل البريطانية بين معدلات الوفاة المبكرة لأكثر من ١٥ ألف شخص والتجارب المؤلمة التي مروا بها في سن السابعة والحادية عشرة والسادسة عشرة سنة، وقد تضمنت هذه التجارب المعاناة من الإهمال وانفصال الوالدين ووجود أحد أفراد الأسرة في السجن وغيرها. ووجد الباحثون أن النساء اللاتي عانين من تجربة مؤلمة واحدة قبل إتمام السادسة عشر عاما كن أكثر عرضة للوفاة قبل سن الخمسين بنسبة ٦٦% . وارتفعت هذه النسبة لتصل إلى ٨٠% بين اللاتي تعرضن لتجربتين أو أكثر. وبلغت نسبة الوفاة قبل سن الخمسين بين الرجال الذين تعرضوا لتجربتين مؤلمتين أو أكثر في الطفولة ٥٧%. وأشار الباحثون إلى أن بعض أسباب الوفاة في سن مبكرة ترتبط بالتوتر النفسي مثل الميل إلى الانتحار أو إدمان الكحوليات أو المخدرات. غير أنهم أوضحوا أيضا أن الأطفال الذين يتعرضون لتوتر بالغ، يمكن أن تحدث لديهم حالة من عدم التوازن في هرموناتهم وأجهزتهم المناعية ، يكون لها تأثير على نموهم البدني وصحتهم في وقت لاحق من حياتهم. إلى هنا ينتهي الخبر..

بالطبع إن ما سمعناه من خلال التقرير السابق عن الدراسة الفرنسية أثبتت أن تجارب الطفولة المؤلمة تزيد من فرص الوفاة قبل سن الخمسين. أضيفي إلى ذلك يا سيدتي الوفاة المبكرة التي تحدث بسبب التوتر النفسي أو إدمان الكحول والمخدرات. وإن الأطفال الذين يتعرضون لتوتر بالغ في حياتهم من جراء انفصال الوالدين مثلا أو مشاكل في البيت، يمكن أن يحدث لديهم حالة من عدم التوازن في هرموناتهم وأجهزتهم المناعية مما يؤثر على نموهم وصحتهم في وقت لاحق في حياتهم.

نعم إن أجسادنا ونفسياتنا تعاني جدا من جراء ما نمر به ونجتاز فيه ونحن أطفال. لهذا يحذر سليمان الحكيم في الكتاب المقدس وفي سفر الأمثال الأهلين وينبئهم إلى أن يُنشئوا أولادهم في جو صحي وصحيح بعيد عن الخصام فيقول مثلا عن الجو الصحي ما يلي: "لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام." (أمثال ١٦: ٧) ويقول أيضا عن سيطرة الإنسان على انفعالاته السلبية كالغضب مثلا ما يلي: البطية الغضب خير من الجبار ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة. (أمثال ١٦: ٣٢)

بالإضافة إلى تنبيه النبي والملك سليمان الحكيم وإرشاد الوحي الإلهي إلى أن ينشأ الأولاد في كنف عائلة سليمة بعيدة عن العنف والتعنيف، والخوف والترهيب، يسود فيها الانسجام والتفاهم، يحث الآباء على أن يعلموا أولادهم الحكمة والحكمة هي مخافة الله تعالى. إذن، لا يقتصر الأمر فقط على الناحية الجسدية والنفسية يا سيدتي لكي نضمن حياة مطمئنة وسليمة للأولاد منذ نعومة أظفارهم، بل أيضا أن نرشدنا إلى حياة نقية وسلوك سوي حين يكبرون وهكذا يعيشون في خوف الرب وطاعته . فنسمعه يقول: يا ابني احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك. اربطها على قلبك دائما، قلِّد بها عنقك ، إذا ذهبت تهديك ، إذا نمت تحرسك ، وإذا استيقظت فهي تحدثك، لأن الوصية مصباح والشريعة نور وتوبيخات الأدب طريق الحياة. لحفظك من المرأة الشريرة من ملق لسان الأجنبية . . . يا ابني لا تنس شريعتي بل ليحفظ قلبك وصاياي فإنها تزيدك طول أيام وسني حياة وسلامة.. لا تدع الرحمة والحق يتركناك ، تقلدهما على عنقك. اكتبهما على لوح قلبك، فتجد نعمة وفضيلة صالحة في أعين الله والناس... يا ابني إن قبلت كلامي وخبأت وصاياي عندك حتى تميل أذنك إلى الحكمة، وتعطف قلبك على الفهم، ... فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله لأن الرب يعطي حكمة من فمه المعرفة والفهم. يذخر معونة للمستقيمين هو مجن للسالكين بالكمال.. حينئذ تفهم العدل والحق والاستقامة كل سبيل صالح.

نعم يا سيدتي حين نرشد أولادنا وندريبهم منذ الصغر على مخافة الرب والسير في طريقه، فإننا سنريح أولادنا وسينمون في معرفة الله ويزدادون في محبته يوما بعد يوم. وهذا ما يضمن للصغير كما الكبير أن يعيش حياة سليمة ومسالمة ومطمئنة في عالم أصبح فيه الشر والخطية منتشرين بشكل لا يصدق. فهل نرغب اصدقائي أن نعيش حياة سليمة معافاة، إذن لما لا نلجأ إلى الله الذي لديه كل حكمة وعلم ونطلب منه أن يغيّر دواخلنا ويحوّلها إلى قلوب نقية طاهرة بواسطة دم يسوع المسيح الذي سفك من أجل كل البشر. فهل تؤمنين به سيدتي؟ هو وحده الذي يمكن أن يمنح الإنسان المؤمن به، حياة مطمئنة ومنتصرة وغالبة.

\*\*\*\*\*